

الكولونيالية وتشكلات الهوية في فلسفة فرانتز فانون

Colonialisme and identify construction in Frantz

Fanon's philosophy

¹ نسيم حمود / محمد البشير مسالتي²

Nassima Hamoud¹ / Mouhamed Albachir Messalti²

مختبر مناهج النقد المعاصر وتحليل الخطاب

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02، الجزائر.

University of Sétif 2, Mohamed Lamine Debaghine – Algeria.

na.hamoud@univ-setif2.dz¹ / messalti_mouhamed@yahoo.com²

تاريخ النشر: 2022/09/02

تاريخ القبول: 2022/04/05

تاريخ الإرسال: 2022/02/26

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة استراتيجية التشكيلات الثقافية لصورة الذات والآخر في إطار المواجهة الكولونيالية، من منظور فرانتز فانون ما بعد الكولونيالي، الذي قادته تأويلته المبنية على أساسات نفسية وفلسفية، إلى تأكيد الطبيعة الانقسامية للمؤسسة الكولونيالية، التي شطرت العالم عبر خطاباتها وممارساتها التحيزية، إلى جبهتين متناقضتين؛ عالم مستعمر سيّد، وآخر مستعمر محكوم عليه بجزيرة لونه الأسود وعِلمه الجينية بخدمة السيّد الأبيض المستعمر، مركزين بدرجة أكبر على كتابه (بشرة سوداء أقنعة بيضاء) الذي خصه بتعداد الآثار النفسية الوخيمة التي ألحقها الكولون العنصري بالذوات المستعمرة.

الكلمات المفتاحية : هوية، كولونيالية، ما بعد كولونيالية، فرانتز فانون، أسود، أبيض.

Abstract :

The under pinning purpose of the present study is to investigate the strategy of the cultural formations of self-image and the other within the framework of anti-colonialism from the perspective of the post-colonial, Frantz Fanon. Frantz Fanon's interpretation, which is based on psychological and philosophical grounds, led him to confirm the divisive nature of the colonialist institution that had divided the world, through its prejudiced speeches and discriminative practices, into two opposing sides,

¹ نسيم حمود: nassimahamoud96@gmail.com

a coloniser and a colonized. While the former is meant to govern the world, the latter is governed and convicted to serve the white master, only because of his black skin and genetic traits. Therefore, the current study focuses mainly on his book "Black Skin, White Masks" which is devoted to recount the pernicious psychological effects the racist colonizer had caused to the colonized people.

Key words: identity, Colonialism, post-colonial, Franz Fanon, black, white.



تقديم:

تفتح قراءة نموذج فرانز فانون (Frantz Fanon) (1925-1961) السيل أمام كتابة جديدة تُلَوِّح لمرحلة ما بعدية، ترنو إلى التحرر من رقة الاستعمار، عبر استحداث ميكانيزم خطابي، يُقَوِّم على نحو متعارض ومضاد خطاب الثقافة البيضاء، الذي لا يقر بنُدْيَةِ الآخر، ولا يؤمن بقيام وحدة كونية تشاركية يحكمها مبدأ المساواة العام بين جميع البشر، على اختلاف ألوانهم وأعراقهم ومذاهبهم. وفي مسعاه، نحو قلب هرمية السردية الغربية، وسنّ منظورات تاريخية مغايرة؛ كان لا بد أولاً، من أن يتفَسَّخ أمامه وجه أوروبا الحقيقي، المقتنع بروح الأنوار ومدائح الإنسانية وبلاغات الحرية المظفرة؛ فكان مشهد صدام فانون الأول بقفا أوروبا البربري الموبوء بتقسيمات مانوية، وعرقية حادة، تضمحل أمامها كل طاقة فكرية وإبداعية، ببلده الأُمّ فرنسا.

فهذا الشاب المنحدر من جزر المارتينيك، قاده وعي الثوري الذي تشكّل قُبالة تجرّعه مرارة الميز العنصري على تخوم وطنه، إلى أن يتبوأ مكانة نبيّ العالم الثالث بتوصيف المتابعين للشأن الكولونيالي؛ حينما أقام مسافة بينية مع النصوص الغربية التي احتجزت الذوات الكولونيالية داخل صور فيتشية صنيعة سلخت عنها إنسانيتها وعقلانيتها، وجعلت منها كائنات مقدوفة خارج دوائر التاريخ وسيرورات التطور، مغترفاً أصوله الفكرية من خليط فلسفات هجينة، تتراوح ما بين فكر ماركسي، وتنظيرات هيغلية، وتنويرات فينومينولوجية، وتحليلات نفسية، واحتكامات سارترية، صنعت جميعها تلك الروح الفانونية المتمردة، التي وثّقت أصالتها، نصوصه المناهضة، كما نقف عند كتابه؛ (بشرة سوداء أقنعة بيضاء **Peau noire, masques blancs**, 1952م)، الذي خصّه بتعداد الآثار النفسية الوخيمة المتناسلة عن

سلسلة طويلة من عمليات الاسترقاق والميز العنصري، التي رافقت تساكين المستعمر والمستعمر في إطار المواجهة الكولونيالية.

ودراستنا الموسومة بـ " الكولونيالية وتشكلات الهوية في فلسفة فرانز فانون " تندرج ضمن مسعى محاولة كشف تلك الترميمات الفيتشية التي رافقت عمليات غزو الغرب الكولونيالي لبقية العالم، والتي كان من شأنها أن تحجز الآخر المستعمر داخل هويات تبدو فيها وكأنها أقوام لا زالت تصارع عصور التخلف والبدائية، وعلى الطرف النقيض؛ نجد الآخر المستعمر يسوق لسردية الغرب الأسطوري الذي بلغ روح التقدم والإنسانية اللامتناهية؛ فحق له بهذه الهوية الفجة التي تفصل العالمين؛ العالم الغربي والعالم الشرقي، أن يخطو خطوة في سبيل تمدين أغيارها، تلك السردية التي ما فتئ فرانز فانون تقويضها في مساره العلمي بتقاسم سردية مضادة لها ضمن ما عرف في الساحة الأكاديمية بالمقاومة الثقافية. وتأسيسا على ما سبق نحاول تطبيق جنات هذه الدراسة ضمن هذه الإشكالية: كيف شكّلت هوية المستعمر في المنظورات الاستعمارية؟ وما مدى تأثير تلك التشكيلات والترميزات العرقية على هوية الآخر المستعمر، وكيف أمكن لفانون من تبيان الميزة الانقسامية للمجتمعات الكولونيالية ومن ثم تقويض تلك السردية الكولونيالية بشأن رسالتها التحضيرية إلى شعوب لم تتجاوز مرحلة الطفولة الإنسانية؟

وإلى ذلك؛ فإن هذه الدراسة تهدف إلى اختبار فرضياتها، عبر هيكلها العام الذي توزع على محاور تنظيمية وبحثية، ارتفعت لمنطق فرضه النص المدرس، وجهدت في سبر أغواره، من خلال ثلاثة مسارات توجيهية: أولا: الميثولوجيات البيضاء وشطب الذات.

ثانيا: التصنيفات المانوية وتنشيط الهوية.

ثالثا: فرانز فانون وجدلية الاعتراف.

1_ الميثولوجيات البيضاء وشطب الذات:

أقرت القوى الاستعمارية بأنظمتها الشمولية والرأسمالية المتوحشة، في سبيل تعزيز وجودها، وإصرارها على استدامة الوضع القائم؛ انقساما مانويًا، شطر العالم الدائر تحت سيطرتها قسمين؛ عالم مستعمر/سيد/أبيض/خير/جميل، وآخر، مستعمر/عبد/أسود/شرير/قبيح، وما فتئت تلك النظم الإمبريالية تغذي ذلك الانقسام بعنفٍ إستيمي باصطلاح هومي بابا، مصحوب بعنف جسديٍّ، وجُحها بفضاضة ضد أسود الجزء السفلي من المعمورة، المشدود بقوة إلى حبل تأثيرات تلك الترميمات والممارسات العنصرية، التي صنعت حوله جوا من الاغتراب والاجتثاث الثقافي، وجعلت منه أخيرا مستودعا للغضب

والعقد النفسية، وفّرت إطارا مرجعيا جديدا لرسم صورة منحازة عن الأسود وبناء هويات جوهرائية للآخر، أغفلت ضمنه سياقات التشكل تلك، التي أفرزت في التحليلات الأخيرة هذا المعنى المنشعب في الواقع مع معطيات خارجية يؤثّر وجودها الحضور الاستعماري، أفادت بمراجعة القصيدة التأويلية للمؤوّل، ولماهية المؤوّل تاليا، من حيث كونها نتيجة مباشرة لمنطق التخيل والتلفيق، اللذان استوجبا الحكم؛ أن مردّ تلك العقد والاضطرابات النفسية والمنشآت العصبية؛ يعود بدرجة أكبر إلى علّة بيولوجية خُلقيّة، متأصلة في بنية طبيعة الذوات الكولونيالية، لا بسبب تخريبٍ ببيكولوجي واعٍ، وجرائم وحشية، وسلبٍ منظمٍ، استهدفت أنطولوجيا الذات الكولونيالية.

تلك التحليلات الأخيرة، كانت عصارة مشروع فرانز فانون، التي أودعها بشكل خاصّ، كتابه (بشرة سوداء أقنعة بيضاء)؛ إذ سمحت له التحليلات النفسية الإكلينيكية الموصولة باستيعاء وافٍ للوقائع الاقتصادية والاجتماعية في ضوء المعايضة الكولونيالية، وعملاتها العنصرية الإقصائية، سواء في منشئه فرنسا، أو في الجزائر بمستشفى البليدة، جوانفيل سابقا، بتطويق الملابس المرتبطة بسياقات تكوّن هوية الكائنات المستعمرة في خضم الدراما الكولونيالية، والتي قادت إلى تهاوي موضوعية المعرفة الغربية؛ فإحدى نواحي القصص والتناقضات الجلية المسجلة في تحليلية المستعمر الاستمولوجية والنفسية لهوية المستعمر، تكمن في « ترحيل تلك المعرفة خارج سياقاتها، والأخذ بها في تحليل بنية المجتمعات الاستعمارية [ما] أدى إلى إعادة إنتاج موضوعات التحليل بما يوافق التصور الغربي لها، والتعسف في تطبيقها داخل ميدان ثقافي مختلف كلياً عن الميدان الذي أنتج تلك المعرفة. »¹

هذا المسار انتهى من أحد جوانبه؛ بتتويج إدراك فانون لهذه الحقيقة؛ وهي إلحاحية مساعدة الأسود «على التحرر من الترسنة العقديّة التي نمت في قلب الوضع الكولونيالي»²، المعاصر في نشوئه لقيام فروع علمية تخلّت عن موضوعيتها المفروضة، لصالح توجه جديد، انبنى على تغذية النوازع الاستعمارية، وتسويغ منطقها الدّموي في أجزاء عدّة من بقية العالم، وضمن هذا الوضع؛ أصرت المؤسسة الكولونيالية بأطقمها المعرفية المنحازة، على موضوعة الذات المستعمرة قُبالة أنا مستعمرة مُتسيّدة، وإخراجها من ثمة إلى حيز الوجود من حيث كونها إنسانية منقوصة على سلم التراتبيات البشرية، وصرنا نقف بإيعاز منها إزاء مشهدية، تصف الزنجي « بأنه صيباني وكسول ومترخٍ وبطيء، ويفتقر إلى التاريخ والإنسانية، ويحتاج إلى تدابير قمعية مثل الاستعباد لإجباره على أن يكون منتجاً »³، تلك المشهدية لا تعدو أن تكون في التصور الأخير؛ إلا سيرا في خطّ قانون الاصطفاء العرقيّ، وتحسين النسل، الذي

بشّر به، داروين أول الأمر في كتابه (أصل الأنواع بواسطة الاصطفاء الطبيعي)، وبفضل من هذا العنف التمثيلي، أمكن قيام فرض تاريخي يمنح الآخر أحقية الاستيلاء على الأسود، الذي يكتشف لتوّه؛ تعيّن في محيط الأبيض، وركّبه كـ « غرض وسط أغراض أخرى »⁴، وهو المسلك ذاته، الذي أفضى بمواطن فرانز فانون؛ إيمي سيزر Aimé Césaire في كتابه (خطاب حول الاستعمار) إلى التنبيه أن هذا الأخير؛ يتحدد في عرفه كونه عملية مرادفة لعملية « التشيؤ »⁵.

وتكريسا لحبونة وشيعة الأقوام المحلية، لا تزيد المراجعات التي قادتها الخطابات الكولونيالية، في قراءة بالغة التشويه لعمليات الترتيبية الهرمية للأجناس البشرية، والتي أبانت مقدرتها الفائقة في التحويل وإعادة الإنتاج، والمدارة من حجرة العرق واللون والطبقة، وإرادة الإقصاء والهيمنة، عن حشر الأسود في مربع ماهيته البيولوجية، وآخر الأمر؛ فإننا نتعرف على الأسود المتقوم في الأدبيات الكولونيالية؛ من حيث كونه محشوا بتوصيفات برّانية تجعل هويته مُعلّقة وإنسانيته بين قوسين ()، ليحضر بصفته معادلا موضوعيا للجلد الخشن، والبشرة السوداء، وأطراف الجسم الضخمة، والشفاه الغليظة، والأنف الأفطس، والرؤوس الكبيرة المدورة، والشعر الأجعد، والرائحة الكريهة..... إلخ، تلتها مزاعم جينومية وراثية وأثربولوجية ميّالة ناح اتهام الأعراق الدنيا بمحدودية الفكر والخل والبلاهة، والعجز عن الإتيان بعمليات عقلية منطقية تثبت بها إناستها، أو تنفي بها استحالة نفاذ الحضارة والثقافة الإنسانية العليّة إلى تجربتها. والعينة كما يُدّل فرانز فانون؛ ذلك التقرير الذي تلى مقال « ه. ل. غوردون في ال (Presse Médicale) للشرق الأفريقي: " تُقدّم المراقبة الدقيقة جدّا لمئة دماغ لمواطنين أصليين طبيعيين، للعين المجردة، غياب أدمغة جديدة، مميّزة، كما نعلم، بخلايا في مرحلة تطورها الأخيرة، ويضيف: تمثل هذه الدونية كميّا 14,8% " ⁶، أو تلك التي تقول بعدم اكتمال في نمو دماغ الشعوب المحلية، واعتبارا لهذه النقيصة الخلقية؛ فقد استوجب تصنيفهم في دُرج البدائيين الذين « يقعون في حالة تتوسط الأوروبي والحيوان: لأن " بنية دماغ الشمال أفريقي تفسّر كسل الأهلي- مفرد الأهلي- وعجزه الفكري والاجتماعي، واندفاعه الحيواني، والاندفاع الجنائي للشمال أفريقي، مسجل في جهازه العصبي، وهو رد فعل عصبي مفهوم علميا، مسجل في طبيعة الأشياء، الطبيعة البيولوجية، فعدم اتحاد الفص الجبهي في ديناميكية الدماغ يفسر الكسل، والجريمة والسرقة والاعتصاب، والأكاذيب »⁷، وكلها تسير في الاتجاه الذي يفضي إلى التأكيد على تفوق العرق الأبيض المتمركز في النصف الغربي من الكرة الأرضية، قُبالة تلك الكائنات الأخرى في نصفها الشرقي، المتعيّنة بصفالة الهدايات المانوية/ فانون، كـ « تماثيل

بدون كلام ولا وعي بالذات، كائنات بشرية غير قادرة على التخلص نهائيا من الصورة الحيوانية التي ألصقت بها [.....] نوع من الإنسانية المترنحة تخلط بين صيرورة _ بشرية وصيرورة _ حيوانية، لها عن ذاتها وعي هو في النهاية " مجرد من الكينونة " ⁸.

وهكذا اندفعت تلك المراجعات في سيل من الترتيبات تُدَوَّنُ بها مشروعية تحديث mise à jour، (أو استعمار حينما نسمي الأشياء بمسمياتها) تلك المجتمعات المتوحشة كواجب وحقٍّ إنسانيّ يضطلع بتأديته الرجل الأبيض المتحضر، نظير ما يطلعنا أشيل ميممي على لسان ليون بلوم الذي صرح العام 1925 بنفاق إمبريالي يُمأسس به لُبل الرجل الأبيض ومسؤوليته الإلهية تجاه أقوام محلية غارقة في بدواتها، بقوله: « نحن نقبل حق، بل وواجب الأعراق السّامية في جرّ تلك التي لم تصل إلى نفس درجة الثقافة ومناداتها إلى التقدم الذي تحقق بفضل جهود العلم والصناعة » ⁹، ولا بأس في ذلك، بقليل من العنف أو كثير عند غزو تلك الأراضي القسية من العالم بمطية لوّنها، في سبيل إسعاف كائنات تعمّرها، هي من طبيعة هلامية من صنف بشر _ أشياء، بشر _ حيوان، للفصل في نوعها وإدراجها بجهود الرجل الأبيض الخالقة في خانة الإنسانية التي يستأثر بها وحده، في عملية تحديث، هي بنظر آنيا لومبا إحدى تناقضات العقل الكولونيالي التي انزلت إليها دون دراية منه؛ « فإذا كانت الهمجية [بكشف لومبا] حالة بيولوجية فإن التطور بالطرق الاجتماعية يبدو لا معنى له » ¹⁰، ذلك أن همجية غير البيض المفترضة وإرادة الاندفاع لإبقائهم بلعنة لوّهم لخدمة السيد _ الأبيض، دفعت بأحد الأنثروبولوجيين المحسوبين جهة المعسكر الكولونيالي، كيثودور فايتس في كتابه (مقدمة في الأنثروبولوجيا عام 1859) إلى الإدلاء بتصريح يعلن فيه بؤس محاولات التمددين تلك وعقمها، مناقضا بفحواه، الخطاب الأول القائل بواجب وحق تمدين الأعراق السامية لتلك التي تعاني قصورا عقليا؛ يقول: « أما محاولة الوصول بهذه الأعراق إلى أخلاق أعلى وتطور عقلي فإنه سيكون مثل غباء من يتوقع أن تحمل أشجار الليمون، عن طريق التسمية، فاكهة خوخ، أو أن القرد سيتعلم الكلام عن طريق التمرين. » ¹¹.

ولا تزال تلك الإيديولوجيات العرقية تُقَضَّمُ إنسانية الأسود؛ إلى الحد الذي تختزل فيه ماهيته إلى « مجرد طرف: حُسِفَ الزنجي، وصُنِعَ منه طرفا، إنه مجرد قضيب » ¹²، فحضور الزنجي كذات إنسانية كاملة مفكّرة وواعية؛ قد غُيِبَ وصار محجوبا عن العيان، يتكتّل في عضويته « بوصفه رمزا قضيبيا » ¹³، أين أهدرت إنسانيته، وحل محلها صور هُوامية تسوّق لمنظورية الأسود _ آلة الجنس _، الغاطّ في سلوكيات حيوانية، خزان الشذوذ والغرائبية، مرتع اللذات، والفسوق والعريّ والفضائية، والرغبة الجنسية

الجامحة، والطاقة الليبيدية العالية، أما موطنه فهو مهبط الفتازيات والخيالات البهيمية المكبوتة « تأملوا إذا! مع الحرية التي يمتلكونها، في قلب الأدغال! يبدو أنهم يجامعون في كل مكان، في كل آن إنهم نسلون، تناسلون، لديهم كثير من الأطفال، لدرجة أنهم ما عادوا يعدونهم. فلنكن على حذر؛ لأنهم قد يغرقونا في طوفان من الأولاد الخلاسين »¹⁴، وهو المؤثر الجنسي ذاته الذي استحکم بمنظار عموم البيض فيما يخص ماهية السود؛ ففي استطلاع للرأي العام « خلال ثلاث أو أربع سنوات [فيما يورد فرانز فانون]، استجوبنا حوالي 500 فرد من العرق الأبيض: من الفرنسيين، الألمان، الإنكليز، الطليان [.....] كان السدس من عشرة أجوبة، كالتالي: زنجي = بيولوجي، جنس، قوي »¹⁵.

وإذا كانت هذه هوية الآخر _ الأسود التي تُبَت فيها؛ فإن الكولونيالي كان ميّلا بنرجسية تفوقه، إلى مغازلة ذاته بمهوية يناقض بها هوية الذات الكولونيالية، موضوع معرفته، فإن إحدى الطرق التي كان يعيد بها الأبيض إنتاج ذاته تمر عبر مسلك اختلاق اختلاف راديكالي مع المستعمر _ الأسود، فصناعة الأسود هي بالقدر نفسه، لحظة من لحظات تشكيل الغرب؛ « وعليه فإن كل معرفة بالآخر _ إذ تتضمن نفيا له بوجه من الوجوه _ تؤكد من جهة أخرى في الذات على ما تنفيه عند الآخر، وبكلام آخر، كل معرفة بالآخر هي وجه من أوجه المعرفة بالذات. وهكذا، إذ تنفي الذات الغربية المجون والمنحرف في داخلها، فلكي تؤكد على معقوليتها وسويتها، وإذ تنفي البدائي والمتوحش في خارجها فلكي تؤكد على تحضرها وتمدنها »¹⁶. واستمر الفعل ذاته في عملية لولبية حلزونية، حُدّ نهايته يريد القول؛ أن الأبيض معادل الخير، وأن الشر متقوم عند الآخر _ الأسود.

غير أن فرانز فانون في جبهته التي افتتحها لنقد السردية الغربية، راح يقيم أصوله النقدية بشكل تسير به نحو مفترقات طرق يقوّض عندها مُتخَيِّل الزنجي _ آلة الجنس، إحدى تلك الطرق تقود إلى الإقرار؛ أن الأسود كان المشجب، أو كبش المحرقة بتعبير فانون الدقيق، الذي علّقت عليه الثقافة البيضاء نزواتها الحيوانية والتي أنكرها الآخر المأخوذ بإنسانيته، بعد طردها بمعقوليّة مزعومة، وسووية أخلاقية مدّعاة، إلى لا وعيه الجمعي، عاودت الظهور والتجلي بعد حين، وطفّت على السطح، في شكل إسقاط انحرافي على الذوات السوداء، المستحكم في رقابها بجزيرة لونها ونواقصها العقلية، من موقع سلطة مُحوّلة بفضل من الامتياز الكولونيالي والتفوق العرقي؛ فلكان الأبيض ينقّس عن مكبوتاته الجنسية الطريدة قبل عصور من التفسخ الأخلاقي والمجون، وينفثها في ذاتية الأسود، بعد إعادة تدوير لماهيته الأولى، انتهت بإخراجه في

صورة آخر - شهواني - جنسي، ويفيد قانون في هذا من طروحات فرويد ذات المقاصد الجنسية البحتة، فكتب ما نصه : « يتطلب كل كسب فكري نقصا في الطاقة الجنسية. ويحتفظ الأبيض المتحضر بالحنين إلى عصور استثنائية من الإباحة الجنسية، والمشاهد الخلاعية والاعتصابات غير المُعاقبة، والمُنكرات غير المقموعة. بمعنى ما، تلبي هذه الهوامات غريزة الحياة الفرويدية. فالأبيض إذ يُسقط نواياه ومقصاده على الزنجي، يتصرف " وكأن " الزنجي كان لديه هذه النوايا فعلا. »¹⁷.

غير ذلك؛ فإنّ الصور الهوامية الجنسية التي أُلصقت بالزنجي هي في الطريق الثاني فيما يقول قانون؛ تعبير عن القلق / الخواف الجنسي؛ فتفوق الأسود الجنسي المفترض يقابله في الطرف الآخر عقدة نقص وغيره من جانب الأبيض الذي صار وفق هذا؛ مهددا في خصوبته، ومتهما في فحولته، فكان سببا محوريا لخلق عداء دائم مع الزنجي المرهوب الجانب، يصل في تطرفه حدّ ترصده في جسدانيته، بأن ينكر عليه قضيبه وتمارس عليه عملية إخصاء، وحتى قتله شنقا دون محاكمة انتقاما منه. وعليه بنى قانون فرضياته التي تصب في مجّمع دونية الأبيض الجنسية: « على الصعيد التناسلي دوما، الأبيض الذي يكره الأسود، ألا يخضع لشعور بالعجز أو بالدونية؟ بما أن المثال هو رجولة، فحولة مطلقة، ألا توجد ظاهرة نقص، تضاول أمام الأسود، نظراً لأن الأسود يُدرك بوصفه رمزاً قضيبياً؟ إن شق الزنجي، ألا يمكنه أن يكون انتقاماً جنسياً؟ »¹⁸، فالإيديولوجية الغربية العنصرية العاجزة عن استيعاب أيّ اختلاف؛ استبدلت في طور جديد من أطوار عنصريتها واستبدادها، خواف اليهودي بخواف الزنجي؛ ففي مقايضة أجزاها قانون بين المعادي للسامية والمعادي للزنجي اللذان هما بنظر سارتر شخص واحد، يتوصل قانون إلى القول أن مدار خواف اليهودي مرتبط بأسباب نفاده في مختلف مستويات السلط، في حين تعود مسببات خواف الزنجي إلى قوته الجنسية التي ترهن فحولة الأبيض، وعليه يكون الجزء من جنس الخطر الذي قد يلحقه اليهودي أو الأسود بالأبيض، على النحو الذي يوضح به قانون: « قد لا يخطر، مثلاً، في بال أيّ لا سامي أن يخصي اليهودي. بل يخطر له أن يقتله أو أن يعقّمه. أما الزنجي فهو مخصي. لقد أُميد القضيب، رمزُ الفحولة، أي جرى إنكاره. »¹⁹

2_ التصنيفات المانوية²⁰ وتشظي الهوية:

على مستوى الواقع؛ لم تسر الأمور بشكل جيّد؛ إذ لم يسعف وعي الأسود المتداع بتجربته المعيشة المطوّقة بظرفيات مخصوصة تندغم تحت مسمى الوضع الكولونيالي، في تجاوز أسيجة دوغمائية الميز العنصري المنتشرة بكثرة في الأفق، وبرأي قانون أن مرحلة من الاستلاب ونفي الذات تبدأ بتدوت الأسود

لنظرة الأبيض المحذقة العنصرية، وهي النقطة التي يُصير فيها الأسود عبداً لمظهره، للونه، لفرض الأبيض الثقافي عنه، لسلسلة التحديدات البرانية التي ألحق بها؛ فعن طريق مقولتي الاستدعاء والتذويت الألتوسيرية²¹ فرض الغرب منطق هيمنته بفهم أنطونيو غرامشي، وألحق الآخر بمجاله النظري، ومن خلالها دبّت الحياة في تلك الصور الهوامية والخيالات العلمية والخطابات والتوصيفات البرانية، مُشكّلة ذاتاً وكيونة وجوهاً تمشي على قدم وساق، أُطلق عليها مُسمى الزنجي، والأخرى حلّت محلّ الزنجي، طغى فيها دالّ اللون الأسود القاتم، وعصور التخلف والحيونة، وإفراط في التحديد من الخارج، على ما دونها من الدوال الأخرى؛ وعلى تردداتها ستتكرر مشاهد تستنكر حضوره، من قبيل «أمي، أنظري الزنجي، أنا خائف!»²²، أحلّت بآنية الزنجي وأذلت، فحنّ – إذن – بقول يمي سيزر إزاء «ملايين الناس الذي جرى تعليمهم الخوف بدراية، تعليمهم عقدة النقص، الاضطراب، الركوع، اليأس والدّلة»²³، وأمام مسألة هي «من الأهمية بما كان، بحيث إننا لا ننزع إلى ما هو أقل من تحرير الإنسان الأسود من ذاته. ولسوف نسير ببطء شديد جداً، لأن هناك معسكرين: الأبيض والأسود»²⁴، كما يعلن فانون في إشارة إلى مباشرة مهمة نزع الاغتراب وتحرير الملون ومعه كل مستعمر.

يحاجج فانز فانون؛ أن السياسات الإمبريالية التي لم تغادر أبداً قواعدها العنصرية المانوية، لا تخلو البتة من مقاصد ثقافية تشويهية مبيتة، سافرة أو مُستترة خرّمت هوية الذات المحلية، وارتدّت إلى طرف الأسود في نمط اضطرابات عُصائية، تُفرج عن نفسها في شكل عقدة دونية ونقص، يربطها فانون أساساً بمظاهرها ومصادرها الأصلية المنبعثة تحديداً من لون الجلد وعوامل اقتصادية معاضدة له، ويصرّ في تأويلته التي ارتأها أن تكون نفسية، على أرختها، وتخيّلها بالسياقات الاجتماعية والثقافية والتاريخية المصاحبة لتشكيلها، والتي لا تخرج في النهاية عن المضمار الذي رسمه المجتمع الكولونيالي، في خطوة يعارض بها نظرية أوكتافمانوني في تحليله البسيكولوجي للوضع الكولونيالي، والذي قال فيه؛ أن عقدة الدونية المكتشفة لدى الملاغشين تعود إلى ما قبل الظهور الكولونيالي، وحجته الدامغة؛ «أن مالغاشيا راشداً معزولاً في بيئة أخرى، يستطيع أن يصبح حساساً للدونية من الطراز الكلاسيكي، يدلّ، بنحو قاطع تقريباً، على أنه كان يوجد فيه، منذ طفولته، بذور دونيته»²⁵، ويذهب في فصل الخطاب إلى الطرف الذي يشد فيه حبل عقدة الدونية ويسحبه جهة الوراثة الدماغية، باعتبارها حالة طبيعية جينية، وإلى جانب عقدة الدونية المتأصلة، جرى اكتشاف صبغيات أخرى تحمل عقدة القابلية للاستعمار، المحددة بكونها مجموعة الابتسارات، والاستعدادات الفطرية أو الهايبتوسات (جمع هايبتوس) باصطلاح بيير بورديو، تجعل من

المستعمر يشترّب بأعقابه لطلب الاستعمار، ما يعني حسب مذهب مانوني أن « الاستعمار هو نتيجة فروقات نفسية محددة بين الأعراق (والتي تؤدي ببعض الشعوب إلى التبعية أو الحاجة في أن يحكمها غيرها) »²⁶، يعود فرانز فانون ليقبل طرقي معادلة مانوني، ويجعل من السبب نتيجة، والعكس صحيح؛ ف «الاستعمار في الحقيقة هو السبب الذي أدى إلى نشوء فروقات نفسية على لمستويات العرقية، ومحق الفرد إلى العدم.»²⁷، مؤكدا في ذات السياق أن خلاصات السيد مانوني في كشفه الأخير، لا تخدم مقدماته فيها _ القائمة على افتراض وجود وضع مخصوص، هو ثمرة لقاء جَمع شعوب متحضرة بأخرى متخلفة، موسوم بالشرط الكولونيالي _ نتائجها المتأخرة؛ فمادام أن خطه التوجيهي يمر عبر هذه المنطقة (أي الوضع الكولونيالي)، فلم يعد هناك من مبرر منطقي أو عقلي للقول أن عقدة الدونية موجودة قبل الحلول الاستعماري، كما تزعم نظريته، والذي يبدو أنه انجرف فيها وراء نتائجها، فنسي تصميمها في إطار إحداثيات الوضع الكولونيالي الذي خلق وضعاً ثقافياً معيناً، بالنحو الذي نستفيد من محاجة فانون، الذي راح يتعامل في خطوة تالية مع العُصابات في سياق اجتماعي، وتجربة الملون المعيشة في ظل الوضع الكولونيالي الانقسام، لا كحالة فردية يتيمة، ما يتطلب من ثمة «إدراكاً مباشراً للحقائق الاجتماعية والتاريخية، لأن اغتراب الأسود ليس مسألة فردية. وهكذا يتحول التحليل، من الزاويتين الشخصية التحريمية، من الحقل الفردي إلى الاجتماعي»²⁸. وإلى ذلك؛ فإن فانون ينفي جملة وتفصيلاً أن تكون الأسرة الأنتيلية أحد مسببات العوارض العصبانية، عكس المتواتر في الأسر البورجوازية الأوروبية، « وبوضع دراسات علماء الأعراق جانباً، فإنه يؤكد أنه سيكون من الصعب العثور على عصاب أوديسي في الأنتيل. فالعصاب ليس عنصراً أساسياً في الواقع الإنساني، لكنه مثل " كل مظهر، كل مذهب قبلي فاعل في مارتينيكي هو نتاج وضعه الثقافي." »²⁹، في ظل الحكم الكولونيالي، وبموجبه يتقرر أنّ: « العرقي هو الذي يصنع الدوني »³⁰، يميل الملون المتسمّم بتمثّل معين لآخر عنه إذا ما استعرنا قول سارتر، والموجه بسلوك عُصابي في محاولة التسامي على دونيته، وموقعة ذاته ضمن أفضية ودلالاتٍ جديدة؛ إلى ارتداء قناع أبيض، يعانق به ثقافة الآخر المستعمر، ويحجب به جلده الأسود، وكأنه فعل يروم ولادةً جديدةً، يُتصّل فيها من وجود سابق، ويُنكر فيها للذات وللثقافة الوطنية المحلية. وارتداء القناع الأبيض، كان يعني بالنسبة للملون أن يدفع أصالة ثقافته المحلية بتعبير فرانز فانون، وكان يعي بالنسبة للأبيض مضاعفةً لذاته عن طريق فعل المعاودة والتكرار الذي يتحمل عبأه العبد الأسود؛ لكن لا إعدام الوجود ولا فعل المعاودة قد أسعفا الأسود

لتجسير المسافة مع السيد الأبيض وتجاوز الفجوة الثقافية الحاصلة بين الجسد الأسود واللون الأبيض، فالأسود « يريد أن يكون أبيض. ويستमित الأبيض لتأكيد وضعه البشري. »³¹.

وفي سيرورة الانبناء والتشكل الجديدة المتاخمة لحدود شطب الذات والكف عن الوجود، يكون الأسود المتطور المطالب بقليل من البياض، ملزما بامتلاك ناصية قيم المتروبول الغربي، وفي طريقه إلى هناك، لا تكون محاولته تلك، إلا خدشا لأسطحها الخارجية دون اختراق عميق لقشرتها السمكية، ف « الطريقة المستعملة لهذه الغاية هي ساذجة غالباً: " ارتداء ملابس أوروبية أو أسمال من آخر موضوعة، وتبني أشياء يستعملها الأوروبي، كأشكال تحضره الخارجية، وإغناء اللغة المحلية بعبارات أوروبية، واستعمال جُمْل متكلفة لدى التحدث أو الكتابة بلسان أوروبي، ويجري العمل بذلك كله في محاولة للتوصل إلى شعور بالمساواة مع الأوروبي ونمط حياته " »³²، ويتأتى له ذلك أكثر بحيازة امرأة/ رجل بيضاء/ أبيض ت(ي)وفر له(ها) ممرا خلاليا للنفاد إلى الثقافة البيضاء، وأوربة عرقه الأسود؛ «ففي هذه الأثناء البيض التي تداعبها يداي المديدتان، أجعل الحضارة البيضاء والكرامة البيضاء، حضارتي وكرامتي.»³³، فعند هذا الحد من الانسلاخ وإنكار الذات؛ لم يعد وجود الأسود وجودا مستقلا لأجل الذات، وإنما صار وجودا لأجل الآخر، الذي يحدد ويعين ماهيته، أو يجرده من كل قيمة ويعدم وجوده، وتمضي أمور الملون بهذا الشكل، بين رفض لإرثه الثقافي المحلي، ولفظ العالم الأبيض له، ولسانه ينطق بحاله، فيقول: « أردت أن أكون زنجيا نمطيا، _ لم يكن ذلك ممكنا. أردت أن أكون أبيض، _ فكان ذلك أجدر بالسخرية في ذلك. »³⁴، وكأن هذه التصدعات النفسية تنبئ بتشط وانشطار هوية رعايا الاستعمار المتشككين تحت راهنية الظرف الكولونيالي العنصري، وما يستتبعه من انسلاخ قد يفضي في أحوال كثيرة إلى الانفصال عن الجوهر ومحاولة التمهصل في ذاتية الآخر، كحالة باتولوجية مرضية تحد في عنوان فانون " بشرة سوداء أفنعة بيضاء " المكتنز الدلالة، توصيفا خاصا لها، بالنحو الذي يبدو فيه الأسود ك « شخص مصلوب لا ثقافة له ولا حضارة، وهو من غير ماضي تاريخي طويل »³⁵.

2_ فرانز فانون وجدلية الاعتراف:

تقوم التعاليم الهيكلية³⁶ في خطوطها العامة الواسعة بشأن براديغم الاعتراف، المتعين بحسبانه « مجموع العلاقات أو المؤشرات التي بواسطتها تأخذ هوية الآخر بعين الاعتبار، يندرج ضمن سياق ثقافي يجعل من الاعتراف آلية لإنتاج الرضا، وحافزا على العطاء والمبادرة. »³⁷، على واقعة الصراع

من أجل الظفر باعتراف الآخر عبر تجربة التداوت وديالكتيك الحوارية بمصطلح باختين الأثير؛ فسيرونة انبناء الذات وتشكل الهوية تكون من خلال فعل التواصل مع ذات أخرى مغايرة، تنجح من خلال هذه العلاقة البيذاتية إلى إحراز اعتراف متبادل، يُعزّز به وجود الأنا كذات إنسانية فاعلة في محيطها الاجتماعي، فكلاهما — حسب التقليد الهيغلي — تحقق نفسها من خلال ذات الآخر لا في ذاتها وحدها، القاصرة عن تحقيق وعي ذاتي محض، إذ « لا يكون المرء إنساناً إلا بقدر ما يرغب في فرض نفسه على إنسان آخر، لكي يجعله يعترف به. [...] فقيمته وحقيقته الإنسانيتان تتوقفان على هذا الآخر، على اعتراف هذا الآخر به. إن معنى حياته يتكشف في هذا الآخر. »³⁸

هذه الرؤية تجدد تعبيرها الكامل في جدلية السيد والعبد التي اقترحها هيغل من خلال كتابه (فينومينولوجيا الروح)، مفترضا وجود ذاتين متعارضتين؛ سيد وعبد، كلاهما يحمل وعيا مختلفا ومنشقا عن الآخر، تدخل في صراع حتى الموت من أجل تحقق رهان الوعي بالذات، وإثبات فردانيتها، هذا الصراع يتكامل بانتصار السيد على حساب العبد الذي ينبري إلى خدمة السيد، رغم ذلك فإن وجودهما يعتمد بالأساس على وجود الآخر والاعتراف بهويته، بعد دخولهما في ندية متكافئة ومنفعة متبادلة؛ فالسيد تتعزز سيادته عبر هذا العبد الذي يخدمه، وبالمثل فإن العبد يدرك ذاته عبر خدمة السيد واعترافه به، ما يؤكد أن عملية هيكلية الذات والوعي بما متوقف على ما يمكن تسميته بـ « التبادلات التفاعلية »³⁹، فالقول بالذات، يكافئ ما محصلته متواليه تفاعلات بينذاتية، مع الأنا الداخلية المطابقة، ومع ذات خارجية مختلفة، حتى يتحقق وعي الذات في ذاته ولذاته باصطلاح هيغل، الذي ينفي أن يحقق الوعي بالذات إمكاناته الوجودية الكاملة خارج الدائرة التواصلية، التي ترسم خطاطة الاعتراف المتبادل في إطار من العيش المشترك، وهذا بالسير ضمن حلقة مغلقة يتحدد مسارها في هيئة خطين متعاكسين من — إلى، فإذا حصل وتعطل أحد الاتجاهين بسبب إنكارياتي وعدم اعترافي بهوية الآخر كذات إنسانية كاملة مختلفة عني « فإنني أبقى الآخر داخل الذات. في أقصى الحالات، أنتزع منه حتى هذا الوجود — لذاته. »⁴⁰، والعكس صحيح بالنسبة لذاتي إذا ما امتنع الآخر عن الاعتراف بي بوصفي كائنا متميزا عن ذاته، فوعي الذات ووعي الآخر لذاته ينصهران من ثمة في بوتقة واحدة هي بوتقة الاعتراف المتبادل، ف« يكون وعي الذات بذاته ولذاته، كلما، ولأنه بذاته ولذاته في سبيل الوعي ذاتي آخر؛ أي أنه لا يكون إلا بوصفه كائناً معترفاً به »⁴¹.

شكلت جدلية السيد والعبد الهيجلية بالنسبة لفرانز فانون، مناسبة لمراجعة شاملة، أحرز بها خروجاً نسبياً عن نسقية هيجل، هذا النقد الأصيل لـديالكتيك هيجل بمسمى غبسون، أمكن لفانون عبر استدماجه مركب العرق الذي عُيِّب في جدلية هيجل، والتي تحولت ها هنا في تأويلية فانون من ثنائية (سيد/عبد) إلى ثنائية (سيد أبيض/عبد أسود)، فبدخول اللون على الخط تتقوض أية احتمالية لقيام تبادلية مزدوجة من — وإلى، لسبب يعزوه فانون إلى « الغياب المطلق لأيّ اعتراف بالعبد من جانب السيد، [ف] لا يمكن أبدا إقامة علاقة بين " المتحضر " (الأبيض) و " المستعمر " (الأسود) ». ⁴² الأخير الذي يظل محروماً من اعتراف الأبيض، ما لم يتبدد سواده، ويستبدل بياضاً، وبالمقابل فإن هذا السيد المزهو بتفوق عرقه، والغارق في نرجسيته، لا يعبأ البتة باعتراف الأسود المنذور للعبودية والعمالة ليس غير، فهو اعتباراً لهذا المنطلق لا يرقى إلى مستوى تطلعات الأبيض، الذي لا يتشوف إلى الأسود كآخر له، وإنما كعبد حقير مخضّب بسواده، فعملية « التبادلية في سياق التجربة الكولونيالية ليست مشوّهة بقدر ما هي مسدودة الأفق بسبب عائق اللون. ويرى فانون أن العبد لا يستطيع كسب الاعتراف من خلال العمل، مادام السيد يريد [من العبد] العمل فقط ولا يهتم بتاتا بالاعتراف » ⁴³، عكس عبد هيجل، الذي تكفل له خدمة السيد اعترافاً به كذات مستقلة، في حين يكون عمل وخدمة عبد فانون — المفرد التحديد من الخارج — للسيد الأبيض؛ معادلة حاصل مجموعها صفر، ذلك أنّه لم يحظ بحق اعتراف الآخر، الذي انتزع منه بتجاهل حضوره كقيمة إنسانية مطلقة، وتركيزه على لونه، ذلك الوجود — لذاته، فكلّ «أنطولوجيا (Ontologie)، كل إنية، كينونية، تغدو مستحيلة التحقق في مجتمع مستعمر وممدّن». ⁴⁴، كما سبق وأن أعلن فانون ذات مرة.

من جهة أخرى، على صعيد الذات السوداء؛ فقد رهن تذوت الأسود لنظرة الأبيض المحدقة العنصرية، وما أسفرت عنه من إعدام للوجود، وتبخيس للذات، فرصة تحقق تجربة الاعتراف بذاته ولذاته؛ ذلك أن تجسد هذا المفهوم، يعتمد على تقدير الذات لذاتها بالقدر نفسه الذي يعتمد فيه على تقدير الآخر للذات، فاحترام الذات الذي يؤهلها لأن تكون ذات سيّدة تتمتع بحقوق وواجبات مدنية وسياسية ضمن جماعتها التشاركية، ما هو إلا أحد الأقانيم الثلاث المشكل مع شرطي الحب والاعتبار الآخرين، حدود سياسة الاعتراف كما هيكل لها أكسيلهونيث Axel Honneth ⁴⁵، أحد رواد فلسفة الاعتراف، فتجربة الاحتقار والذل التي خبرها الأسود خلال التجربة الكولونيالية دفعت به إلى إنكار ذاته ومحاولة التنبين في ذاتية الآخر الأبيض، ما يعني بالنتيجة تبديد فرض الاعتراف بعد الإخلال بأحد شروطه

الرئيسة ممثلة في الاعتراف الذاتي بالذات كمرحلة ابتدائية أولى لفرض اعتراف الذات على الآخر، فالعبد الأسود أقصى والحال هذه، من كلا الجبهتين؛ جبهة اعترافه بذاته، وجبهة اعتراف الآخر به، ما يعني أنه مهدد بالإقصاء في هويته وفي حضوره الأنطولوجي، على اعتبار أن مطلب الاعتراف هو أحد المداخل المهمة في سيورة تشكل هوية الأفراد، فلا غرو إذن أن يعتبره شارل تايلور « حاجة إنسانية حيوية »⁴⁶، تتلمس معقولة هذه الحاجة الحيوية من خلال الاتزان النفسي والوجودي الذي يضيفه أقنوم الاعتراف على هوية الفرد والجماعات على حدّ سواء، « فمن دون اعتراف تفتقر الجماعات والمجتمعات للبنية التحتية الاجتماعية التي بفضلها تتحقق الروابط الاجتماعية ويتعزز العيش المشترك. »⁴⁷

هذه الحاجة الإنسانية الحيوية، هي التي دفعت فرانز فانون إلى استنهاض وعي الأسود في سبيل استعادة حضوره، وتأميم صكوك اعترافه التي اغتصبها الأبيض، واقتفاءً بأثر هيغل، عمد فانون إلى مطالبة الأسود تحقيقاً لمسلمة أن الإنسان لا يكون إنساناً إلا بفرض اعترافه على إنسان آخر، بالدخول في صراع يجازف فيه بحياته، يؤدي إلى الانقلاب على السيد وتهديده في وجوده، كاستراتيجية مجدية لتفعيل شرط الاعتراف وفرضه على الآخر، الذي جحد على الأسود هذا الحق، ففانون يراهن أن « الحقيقة الإنسانية بذاتها _ لذاتها لا تتمكّن من الاكتمال إلا في الصراع وبما ينطوي عليه من مجازفة. هذه المجازفة تعني أن أتجاوز الحياة نحو خير أسمى، ألا وهو تحويل اليقين الذاتي الذي أملكه عن قيمتي، إلى حقيقة موضوعية، مقبولة عالمياً. »⁴⁸، مسنداً رؤيته على وثوقية أن الحرية تؤخذ ولا تعطى، ذلك أن الحرية التي يمنحها السيد الأبيض دون صراع، ودون ثمن يدفعه ذلك العبد الأسود يصل حد فقدان حياته، تغدو نافلة، ومختلفة اختلافاً جوهرياً بنظر فانون عن تلك التي يقاتل لأجلها العبد المزود بوعي ذاتي مستقل أصيل يقاوم به فيتشبية الرجل الأبيض، ف « الفرد الذي لم يعرض حياته للخطر، يمكن الاعتراف به حقاً كشخص، لكنه لم يبلغ حقيقة الاعتراف هذا بوعي ذاتي مستقل »⁴⁹، أي أنه لم يحقق بعثق الأبيض له شيئاً يذكر، وعلى الأكثر هي بميزان فانون انتقال بسيط من « نمط حياتي إلى آخر؛ لكن ليس من حياة إلى أخرى. »⁵⁰

نتائج الدراسة:

أسفرت هذه الدراسة في خطوطها العامة العريضة عن الآتي:

- 1_ استعانت المؤسسة الكولونيالية في سبيل تحقيق أطماعها التوسعية بترسانة من المعارف والخطابات العنصرية، صنعت عبرها صورة قاتمة لأغيارها، تنزلت بهم إلى مدارك الحيوانية والبهيمية، وطمس وراءهم جوهرهم كذوات إنسانية كاملة.
- 2_ يؤكد فرانز فانون، أنّ التجربة المعيشية في ظرف ثقافي معين صنعه الوضع الكولونيالي، أدت إلى إصابة الأسود وكل مستعمر بـ«غصّابات» وعقد نفسية، خربت هويته، وشطرت حضوره، ودفعت به إلى دفن أصالة ثقافته المحلية ومحاولة التبنّي في هوية الآخر المستعمر.
- 3_ يستحيل برأي فانون قيام اعتراف متبادل، حينما يدخل عامل العرق إلى الخطأ، وهو العامل الذي استثناءه هيغل من جدليته، داعيا في ذات السياق الأسود إلى خوض نضال ممت يستعيد به حرّيته، ويفرض به اعترافه على الآخر الذي أنكر عليه هذا المطلب.

هوامش:

- 1_ عبد الله إبراهيم: التخيّل التاريخي والتمثيل الاستعماري للعالم، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ص 04.
- 2_ فرانز فانون: بشرة سوداء أقنعة بيضاء، تر، خليل أحمد خليل، 2004، دار الفارابي، بيروت/ لبنان، ط1، ص 33.
- 3_ نايجل سي. غبسون: فانون المخيلة بعد _ الكولونيالية، تر، خالد عايد أبو هديب، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، بيروت، ط1، مارس 2013، ص 35.
- 4_ فرانز فانون: بشرة سوداء أقنعة بيضاء، م س، ص 117.
- 5_ وحيد بن بوعزيز: جدل الثقافة _ مقالات في الآخرة والكولونيالية والديكولونيالية، دار ميم، الجزائر، ط1، 2018، ص 35.
- 6_ فرانز فانون: بشرة سوداء أقنعة بيضاء، م س، ص 32.
- 7_ فاطمة الدميلي: تفكيك الخطاب الكولونيالي وإسقاط القنعة _ قراءة في فكر فرانز فانون _، ص 147.
- 8_ أشيل مبيمي: نقد العقل الزنجي، تر، طواهري ميلود، ابن النسيم، الجزائر، دار الروافد الثقافية _ ناشرون، بيروت، ط1، 2018، ص 26.
- 9_ م ن، ص 97.
- 10_ أنيا لومبا: في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، تر، محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار، اللاذقية _ سورية، ط1، 2007، ص 125.
- 11_ م ن، ص 125.

- ¹² _ أشيل ميمبي: نقد العقل الزنجي، م س، ص 161.
- ¹³ _ فرانز فانون: بشرة سوداء أقنعة بيضاء، م س، ص 170.
- ¹⁴ _ م ن، ص 167.
- ¹⁵ _ فرانز فانون: بشرة سوداء أقنعة بيضاء، م س، ص 177، 178.
- ¹⁶ _ جمال مفرج: المعرفة والقوة، نحو طريقة علمية للهيمنة، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم _ ناشرون، بيروت، ط1، 1430 هـ _ 2009 م، ص 38.
- ¹⁷ _ فرانز فانون: بشرة سوداء أقنعة بيضاء، م س، ص 167.
- ¹⁸ _ م ن، ص 170، 171.
- ¹⁹ _ م ن، ص 175.
- ²⁰ _ المانوية، Manicheanism / المصطلح مستقى من "المرطقة المانوية" في القرن الثالث ميلادي والتي قدمت لاهوتا ثنائيا، طبقا له تم تقديم الشيطان مشاركا لله في الخلود. (...) الذي أشاع المفهوم هو "عبدول جان عبدول محمد" (1983، 1985)، الذي طور من تحديد "فرانز فانون" للطبيعة المانوية للمعارضة الضمنية بين المستعمر والمستعمر. في مجال دراسات مابعد الكولونيالية، المانوية مصطلح للبنية الثنائية للإيديولوجيا الإمبريالية. يستخدم "جان محمد" المظهر الثنائي، وغير المرن، للمفهوم ليصف العملية التي يستقطب الخطاب الإمبريالي من خلالها المجتمع والثقافة والوجود الفعلي للمستعمر والمستعمر في المقولات المانوية للخير والشر، نقلا عن بيل أشكروفت وآخرون، دراسات مابعد الكولونيالية، تر، أحمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص 221.
- ²¹ _ لالتوسيرية، نسبة الى الفيلسوف الفرنسي الماركسي ألتوسير لويس (1918، 1990 Althusser, Louis) كان اسمه مرتبطا بمحاولة إنتاج بنوية علمية. (...) تأثيره الرئيسي داخل الدراسات الثقافية كان من خلال حجته التي يرى من خلالها أن التشكيل الاجتماعي مكون من أكثر من علاقة بين مستويات مختلفة مستقلة ترتبط بالممارسة. نقلا عن كريس باركر، معجم الدراسات الثقافية، تر، جمال بلقاسم، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2018، ص 77.
- ²² _ فرانز فانون: بشرة سوداء أقنعة بيضاء، م س، ص 120.
- ²³ _ م ن، ص 09.
- ²⁴ _ م ن، ص 11.
- ²⁵ _ م ن، ص 90.
- ²⁶ _ آتيا لومبا: نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، م س، ص 150.
- ²⁷ _ م ن، ص 150.
- ²⁸ _ نايجل سي. غبسون: فانون المخيلة بعد _ الكولونيالية، م س، ص 54.
- ²⁹ _ نايجل سي. غبسون: فانون المخيلة بعد _ الكولونيالية، م س، ص 93.
- ³⁰ _ فرانز فانون: بشرة سوداء أقنعة بيضاء، م س، ص 99.

- 31 _ م ن، ص 12.
- 32 _ م ن، ص 27، 28.
- 33 _ م ن، ص 69.
- 34 _ فرانز فانون: بشرة سوداء أفتعة بيضاء، م س، ص 141.
- 35 _ نايجل سي. غبسون: قانون المخيلة بعد _ الكولونيالية، م س، ص 54.
- 36 _ هو مصطلح جمعي لحركات فلسفية تتطورت عن أعمال الفيلسوف الألماني جورج هيغل.
- 37 _ محمد نور الدين أفاية: الوعي بالاعتراف، الهوية، المرأة، المعرفة، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2017، ص 192، 193.
- 38 _ فرانز فانون: بشرة سوداء أفتعة بيضاء، م س، ص 230.
- 39 _ كمال بومينير: قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، دار كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2012، ص 91.
- 40 _ فرانز فانون: بشرة سوداء أفتعة بيضاء، م س، ص 230.
- 4141 _ م ن، ص 230.
- 42 _ نايجل سي. غبسون: قانون المخيلة بعد _ الكولونيالية، م س، ص 78.
- 43 _ نايجل سي. غبسون: قانون المخيلة بعد _ الكولونيالية، م س، ص 80.
- 44 _ فرانز فانون: بشرة سوداء أفتعة بيضاء، م س، ص 117، 118.
- 45 _ راجع، محمد نور الدين أفاية: الوعي بالاعتراف، الهوية، المرأة، المعرفة، م س، ص 196.
- 46 _ م ن، ص 196.
- 47 _ محمد نور الدين أفاية: الوعي بالاعتراف، الهوية، المرأة، المعرفة، م س، ص 197.
- 48 _ فرانز فانون: بشرة سوداء أفتعة بيضاء، م س، ص 231.
- 49 _ م ن، ص 232.
- 50 _ م ن، ص 233.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1) أشيل ميميجي: نقد العقل الزنجي، تر، طواهري ميلود، ابن النسم، الجزائر، دار الروافد الثقافية _ ناشرون، بيروت، ط1، 2018.
- 2) أنيا لومبا: في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، تر، محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار، اللاذقية _ سورية، ط1، 2007.
- 3) جمال مفرج: المعرفة والقوة، نحو طريقة علمية للهيمنة، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم _ ناشرون، بيروت، ط1، 1430 هـ _ 2009 م.

- 4) عبد الله إبراهيم: التخييل التاريخي والتمثيل الاستعماري للعالم، مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
- 5) فاطمة الدميلى: تفكيك الخطاب الكولونيالي وإسقاط القنعة _ قراءة في فكر فرانز فانون _
- 6) فرانز فانون: بشرة سوداء أقنعة بيضاء، تر، خليل أحمد خليل، دار الفارابي، بيروت/ لبنان، ط1، 2004.
- 7) كمال بومينير: قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، دار كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2012.
- 8) محمد نور الدين أفاية: الوعي بالاعتراف، الهوية، المرأة، المعرفة، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2017.
- 9) نايجل سي. غبسون: فانون المخيلة بعد _ الكولونيالية، تر، خالد عايد أبو هديب، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، بيروت، ط1، مارس 2013.
- 10) وحيد بن بوعزيز: جدل الثقافة _ مقالات في الآخيرة والكولونيالية والديكولونيالية، دار ميم، الجزائر، ط1، 2018.